

بسم الله الرحمن الرحيم
قصة حاطب - رضي الله عنه - وفواتدها
١٤١٩هـ / ٤ / ١هـ

الشيخ/ ناصر بن محمد الأحمد

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، أما بعد:

روى البخاري في صحيحه عن علي - رضي الله عنه - قال: "بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنا والزيبر والمقداد، فقال: ((انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها)) فانطلقنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالطعينة، قلنا لها: اخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لننقن الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، أي شعرها فأتينا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا فيه: "من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من قريش يخبرهم ببعض أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((يا حاطب ما هذا؟)) قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش، أي حليفاً، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم بهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني، ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أما إنه قد صدقكم)). فقال عمر: "يا رسول الله، دعني اضرب عنق هذا المنافق" فقال - صلى الله عليه وسلم -: ((إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم)) فأنزل الله السورة: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ**

إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [(١) سورة الممتحنة]

إنها حادثة غريبة في تاريخ الإسلام حدثت بأمر الله تعالى لتعطي لنا دروساً وفوائد، ولترسم لنا شيئاً من ملامح هذا الدين العظيم، وهذه عدة وقفات مع هذه الحادثة:

الوقفة الأولى: إن الخطأ الذي اقترفه الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة ليس خطأً يسيراً، إنه يسمى في قوانين العالم الآن بالخيانة العظمى، والتي يكون عقابها الإعدام، إنه كشف لأسرار لو وصلت إلى الأعداء ربما أحدثت كارثة للصحابة -رضي الله عنهم- ولكن الله سلّم.

وهذا الصحابي ليس من عوام الصحابة، بل هو من خاصتهم، ومن أولي الفضل منهم، إنه من أهل بدر، ويكفيه شرفاً أنه من أهل بدر، ومع كل هذا يخطئ حاطب -رضي الله عنه- هذا الخطأ الفادح ليعلم الصحابة والأمة من بعدهم أن البشر كل البشر ما داموا ليسوا رسلاً معصومين من الخطأ حتى وإن كانوا من خيار الناس فإنهم معرضون للخطأ، وإن الإيمان كما هو معروف في عقيدة أهل الإسلام يزيد وينقص بالبطاعة وينقص بالمعصية، فما من إنسان إلا ويتعرض إلى فترات من الضعف، تمر عليه في حياته، وقد يكون الضعف بسبب ضعف اتصاله بالله أو بكتابه أو بالمؤمنين، أو بسبب زينة من زينات الدنيا تعلق بها، أو بسبب معصية ارتكبها إلى غير ذلك من الأسباب ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه أحمد: **((كل بني آدم خطأ، وخير الخطائين التوابون))** إن خطأ هؤلاء القمم من الصحابة رحمة للأمة حتى لا يأتي بعض الناس في زماننا هذا، ويضع لبعض البشر هالة من التقديس أو الألوهية، كما فعلت النصارى، وكما تفعل باقي الملل المنحرفة، وحتى الفرق المنتسبة للإسلام إذا رفعوا من مراتب أئمتهم إلى منازل لا يستحقها إلا الله -جل جلاله-، إن البشر لا يصلحون أن يكونوا إلا بشراً كما خلقهم الله، وإن عدم فهم هذه القضية سبب لنا أزمة فكرية تمثلت في طائفة من المسلمين الذين ينظرون إلى القدوات من المتدينين، وطلبة العلم الشرعي، والدعاة إلى الله على أنهم معصومون من الخطأ، حتى إذا ما أخطأ أحدهم يوماً من الأيام لضعف أصابه فإنهم يستعظمون ذلك الخطأ، ولا يلتمسون له عذراً، بل إنه يسقط من أعينهم، وربما يعامل معاملة قاسية حتى بعد

توبته من ذلك الخطأ، وأعظم من ذلك وأطم أن يُعمم الحكم على طائفة من المستقيمين بسبب خطأ ارتكبه بعضهم.

أيها المسلمون: إن من حكمة الله تعالى أنه لم يجعل لنا قدوة مطلقة في كل شيء إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فشرع الله لا يتحمل أخطاء المنتسبين إليه، كما أن خطأ الواحد لا يتحملة غيره، إننا نسمع كثيراً من يقدح في العلماء أو طلبية العلم، أو الدعاة والمصلحين بسبب خطأ وقع فيه واحد منهم، وإن حقيقة هذا المتكلم إنما أراد أن يسوِّغ أخطاءً هو واقع فيها، فإذا ما أمر بإصلاح وضعه تعذر بأعذار واهية منها حال بعض الملتزمين بتلك الأحكام التي فرط هو فيها، فمن أمثلة ذلك أن تقول لأحد المسلمين: ارفع أزارك؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((**ما أسفل الكعبين من الإزار فهو في النار**)) فيقول لك: إن جاري شخص متدين وثوبه ليس مُسبلاً؛ لكنه يعامل أهله معاملة سيئة، كما أنه لا يسلم عليّ إذا لقيني، إن هذه الإجابة إنما هي حيدة أراد بها التخلص من الموقف ومغالطة لا تنطلي على من يعلم السر وأخفى، وإلا فما علاقة استجابتك أنت بتقريب غيرك في مسألة أخرى، كما إنه يجب علينا أيها الإخوة أن نفرق بين من يخطئ ويصر على خطئه، وبين من يخطئ ويشعر بخطئه، ويندم عليه ثم يصلح من نفسه، ولهذا ذكر الله تعالى من صفات المتقين ووعدهم بجنة عرضها السموات والأرض بأنهم: **{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَكَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** [١٣٥] سورة آل عمران].

الوقف الثانية: أن المسلم مطلوب منه التريث قبل إصدار الأحكام، فهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع أنه يُوحى إليه لم يستعجل في الحكم على حاطب -رضي الله عنه-، فلما سمع من حاطب -رضي الله عنه- عذره علم صدقه، فعفا عنه، وإن مما ابتليت به الأمة في الأزمان المتأخرة تصدى بعض الجهلة لإطلاق الأحكام على الناس ورميهم بالبدعة والانحراف، واتهام النيات التي استأثر الله بعلمها، فماذا سيقولون لله يوم القيامة إذا سألهم: على أي شيء استندتم في اتهام نية أخيك المسلم أنه أراد بكلامه ما فهمتم من فهم

سيء؟ وإنه لمن المؤسف أن يعتذر هؤلاء المسيئون للظن في إخوانهم المسلمين من العلماء والدعاة والمصلحين من المؤسف أن يعتذروا بأنهم أرادوا الإصلاح أو تحذير الناس من أخطاء هؤلاء المحذر منهم، وإنه لمن العقل والحكمة والدين أن يرجع هؤلاء عن اتهامهم لغيرهم بغير برهان، وأن يتقوا الله في أعراض المسلمين قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم، علماً بأن سوء الظن وحمل الكلام على أسوأ الاحتمالات إنما هو دليل على سوء طوية الظآن، وفساد قلبه، وقد قيل: إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه.

نسأل الله لنا وللمسلمين العافية، وأن يجعلنا من المتقين لله في القول والعمل، إنه على كل شيء قدير.

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله، أما بعد:

أيها المسلمون:

الوقف الثالث: إنه من الظلم والطيش أن يقوم الرجال من حادثة واحدة مهما كانت الحادثة، ويترك الماضي المليء بالأحداث والمواقف، فالصحابية -رضي الله عنهم- ليسوا من مرتبة واحدة، وكذلك غيرهم فالمهاجرون ليسوا كالأنصار، وأهل بدر ليسوا كأهل أحد، ومن آمن قبل الفتح ليس كمن آمن بعده، والسابق للإسلام ليس كغيره، وكذلك الأعمال تتفاوت، فالمجاهد ليس كغيره، والعالم ليس كمن هو دونه في العلم، فهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- يذكر أصحابه بما فيهم عمر -رضي الله عنه- يذكرهم بأن حاطباً ممن شهد بدرًا.

وكذلك بالنسبة لنا في زماننا هذا، فإن الإنسان المسلم إذا اشتهر عنه شهود الجماعة في المسجد، ولم يُعهد عنه انحراف ظاهر أو محاربة للدين وأهله، فإنه يُلتمس له العذر قدر الإمكان، ولا يحكم عليه بحكم عام بسبب خطأ واحد، فإن المسلم قد يتعرض لمواقف تخرجه عن طوره فقد يتلفظ بألفاظ غير مناسبة، أو يتصرف تصرفاً غريباً، فلا بد قبل الحكم عليه أن تُعرف سيرته وظروف الحادثة التي أخطأ فيها.

الوقفه الرابعة: أن الله - عز وجل - قد تكفل بحماية أوليائه المجاهدين في سبيله في الدنيا، فضلاً عن الأجر العظيم المدخر لهم في الآخرة، فهذا حاطب - رضي الله عنه - ينزل الوحي للرسول - صلى الله عليه وسلم - بالعمو عنه، فالله - عز وجل - هو الذي يحمي دعوته ورجال دعوته، **{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}** [(٣٨) سورة الحج] فعلى الدعاة والصالحين أن يتذكروا دائماً هذه الآية: **{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}** [(٣٨) سورة الحج] وأن يتأملوا كيف أنقذ الله نوحاً - عليه السلام - ومن آمن معه في السفينة، وأغرق كل من على الأرض في طوفان لم يتكرر في تاريخ البشرية؟ وكيف أنقذ الله إبراهيم - عليه السلام - وهو يلقى في النار لتظهر بعد ذلك دعوة التوحيد رغم أنف الطاغية النمرود؟ وكيف أنقذ الله موسى - عليه السلام - ومن آمن معه من فرعون وجنوده وأطبق الله عليهم البحر؟ ويختتم السلسلة محمد - صلى الله عليه وسلم - التي امتلأت حياته - عليه الصلاة والسلام - بالأعاجيب التي أظهر الله فيها كيف يحمي الله نبيه؟ وكيف يحمي حملة دينه في كل زمان؟ إنه درس لنا لنعلم أن النصر إنما هو من عند الله لمن استحقه من المسلمين، وإن الحافظ هو الله - سبحانه - وحده، وما الخطط والتدبير والسلاح إلا أسباباً لا تنفع إلا بمشيئة الله، فعلى الدعاة والمخلصين أن يستمروا في طريقهم دون خوف ولا وجل، ماداموا قد أصلحوا ما بينهم وبين ربهم، فإن ماتوا فهم شهداء، وإن حيوا صاروا أعلاماً يرتفع عليها الحق، ويخسأ بسببها الباطل، وأهل الباطل.

ولا ننس أيها الإخوة أن في هذه الحادثة وغيرها من الحوادث والأحاديث النبوية، والآيات القرآنية ما فيه بيان المنزلة العظيمة التي ارتضاها الله لصحابة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فما أضل قوماً طمس الله بصائرهم فزعموا أنهم يتقربون إلى الله بيبغض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، وصار في طقوس دينهم وعبارات صلواتهم سبُّ الصحابة، ولا سيما الشيخين أبا بكر وعمر - رضي الله عن الصحابة أجمعين -، نسأل الله العفو والعافية.

اللهم اعز الإسلام والمسلمين...